AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

الرّبعيّات

بخيّام

89274
B336rA

بقلم

رفائيل بطي

29068

نشرتها مجلة الحرية في بغداد

يا أماه

هذه كلمات ،

تعبر عن خوالج نفس اثارها الحس والشعور

فكان حسها داعي لذتها

وشعورها علة ألمها

لهذا أهديها اليك

ر ٠ ٣

مجلة علمية ادبية شهرية

تصدر مصورة في بغداد

رئيس تحريرها
رفائيل بطي

صاحبها ومديرها المسؤول
عبد الجليل رزق الله أوفى

صلة الادب بين الادباء العرب في كل قطر
ولسان حال النهضة العقلية والحرية الفكرية
في الشرق

عنوانها : بغداد شارع المباحثة ١٣٠ - ١٩٥ صندوق البريد - ٩٥

بصريح القول

الربيعيات ، براعم زهرات ، منبتها القلب الحساس ومنشؤها النفس الشاعرة . فاذا رأى فيها بعض القراء - ولا اطمع فيهم كلهم - شيئاً ، فبنسبة البرعم الى الزهرة المكتملة ، وان لم يروا ، فالعجز عجز القلم المسطر لا الخاطر الملي ، ولابد ان تتبع هذه بما هو اجلى منها وادق ، وما ينزل عند اصحاب الفهوم ، منزلة التقدير والاكبار . واعيذك من آفة الاعتداد بالنفس بل احدك بمحصول الاعتماد على النفس و كفى .

بغداد في ٢٥ ايار سنة ١٩٢٥ رفائيل بطي

الحياة الجديدة

على قارعة الطريق ، جلست الانسانية تستعرض ابناءها

مرت أمامها مواكب الامم والشعوب ، وتعاقبت حيالها الاجيال والانسال

والانسانية تفتش عن ضالتها فلا تجدها

***

رأت قبل مايزيد على السبعمائة قرن ابنها الاول يأوى الى المغاور والكهوف ، يكتسي جلود السباع والوحوش ، ويعيش عيشة البرابرة والهمج

وشاهدت ابن المائة العشرين ، يمشي في مهرجان المدنية العصرية

وقد رقّت حواشيه ، فاخذ يتفنن في اساليب الظرف والكياسة ،

يسير شامخاً بانفه ، يفخر بالعلم الجم الذي ملأ صدره ، والافكار السامية التي تجول في رأسه ،

***

فتنهدت الانسانية وقالت : هذا اخو ذاك لم تتغير فيه الا الظواهر الكاذبة اما الجوهر فهو هو ، هذا العام وقبل سبعة آلاف عام .

واذ اعياها البحث والتنقيب ، اسندت رأسها الى حجر مهمل ،

والتحفت باحزانها وهمومها ، ونامت نومة طويلة في عين الناس ، قصيرة في نظر الدهر .

***

جاء عام ١٩١٣ فتطاير الناس من هذا العدد المشؤوم
وقامت صحافة الغرب وقعدت له
لان كتب العرافين انذرتهم بنيران حرب جهنمية
تستعر نيرانها في هذا التاريخ فيشيب لفواجعها الاطفال.
اخطأ العرافون والمنجمون ، قاربوا ولم يدركوا
واصاب دهاقنة السياسة فنزل الخطب الفادح
بساحة البشرية البائسة في السنة التالية
وكان ما كان من ثورة تلك الأعصار الهائلة التى
اكتسحت الرجال والاموال على وجه الكرة الارضية
بمقادير جسيمة
فكانت اعظم نكبة نكبت بها الانسانية
من يوم وجدت فكرة تنازع البقاء في دماغ
« أقوم المخلوقات »

استيقظت الام – الانسانية – على هزيم المدافع وصليل السيوف

فرأت انهر الدم تسيل الى جانبيها، فبكت واعولت...

وما لبثت ان ابتسمت فجأة وقالت : ليس من التضحية بد

لقد سفكت الدماء وزهقت الارواح في سبيل خير اعظم

انما هذا عهد نصر تم لابنائي، وابواب حياة جديدة فتحت في وجوههم

***

سمعت نداء المصلحين والمبشرين من عهد « بوذا » و« كنفوشيوس » الى يوم « كارل ماركس » و« تولستوي »،

فعلمت ان هذه التعاليم، مع كل ما حوته من الحكمة والسداد

ليست بكافية لتغيير سبيل الحياة الذي سار عليه البشر
فما افاد المرء مصلح او مرشد، ما افادته مصارعة
السنين والعصور

ولقد كشفت له المجزرة البشرية الاخيرة اسراراً لم
يحلم بها

فسلام على رفاق ذهبوا ضحية اخوانهم في البشرية

* * *

ارى اليوم في الغرب قوماً لا يحفلون بالمدنية الخلابة،
بل هم يعملون على قلب طور الحياة وتبديل انظمتها
البالية بانظمة افضل منها

تكون في صالح الضعيف الواهن
الضعيف الذي انهكه تضييق الاقوياء فبات يئن
ويشكو من فرط الالم

* * *

وفي «مطلع الشمس» يقظة، هي روح التجدد والانبعاث
يقظة اثارت صراعاً عنيفاً بين الضعف والقوة
والشرقيون اقوام يمتون الى اجداد عظام
هم بناة صرح المدنية في فجر التاريخ وضحاه
ورافعو الوية العلم في العصور الوسطى
وهذا النضال القائم في مشرق الشمس ومغربها
ينتهي بفوز الضعيف المظلوم على القوي الجائر

* * *

« فالعامل » ضعيف ازاء رب المال الساعي للانتفاخ
والاثرآء من عرق جبين عماله.

والمرأة واهنة ازاء الرجل العاتي الذي استعبدها
عصوراً طوالا

واتخذها واسطة للتجبر، وآلة لاشباع شهواته
ليس الا.

والمحكوم ضعيف حيال الحاكم المستبد

الراعي الذي يريد ان يستند الى ضعف الرعية في بسط هيبته وتعزيز سلطانه .

وابن الشعب ضعيف عند الوجوه والاعيان الذين يستفيدون من بساطة الشعب وسذاجته للتسلط عليه

فيديرونه كما تهوى نفوسهم وتشتهي قلوبهم

وجل غايتهم نشر نفوذهم وبسط سيطرتهم

* * *

هذه هي الحياة العتيقة التي عاشها « الانسان القديم » بفكره ومبادئه

اما « الانسان الجديد » ، وليد « الحياة الجديدة » فقد نهض نهضة الاسد المصور ، وخرج على

المبادىء المعوجة والافكار السقيمة

* * *

يرى العامل بأن فيغار على مصلحته وينقم له من رب المال
حتى يضطر المتمول الى مقاسمة عامله الربح
ويشاهد المرأة مقيدة بسلاسل الذل والهوان
فيفك عنها تلك السلاسل ويعطي « نصف الجنس
البشري » حقوقه المشروعة
ليعرف الرجل مقامه فلا يجاوز حده
ويسمع تنهد المحكوم عليه فيثور في وجه الحاكم الباغي
ينزله عن كرسي الحكم او يقوم اعوجاجه ويصد طغيانه
وينظر الى ابن الشعب فيراه خاملا مهملا
فيثور على الوجوه والمقدمين الانوبيين
كاشفا عن اعمالهم المنكرة ودعاياتهم الفارغة
باسم الشعب

حتى يسود السواء والاخاء بين طبقات الشعب جمعاء

***

شعور جديد قد عم شعوب الارض من اقصاها الى ادناها

شعور ينتقل من قوة الى قوة الى ان تنال البشرية — بفضل الانسان الجديد — حظها من الحياة والاخاء والسواء

وغداً يخف ابناء الجيل الحديث الى تشييد صرح جديد للحياة الجديدة

صرح نخم تثبت قواعده على واجب الفرد وتقوم اركانه على حق الجماعات

فيشمل البرايا العدل ويعم الامن وتسود على الارض السعادة والسلام

يقظة الجمال

ـ كتبت عند سرير فتاة حسناء ـ

لا توقظوها ! فهي منتبهة ، وان اخذ الكرى بمعاقد جفنيها !

لا توقظوها ! فهي حية ، وان وقف بها النعاس بين عالمي الحركة والجمود

جسمها الاهيف ، منتصب بمهابته ، وان اماله الوسن في هذه الضجعة الهانئة

عيناها الزرقاوان يشعان نوراً ، وينفذان بسحرهما الى اعماق القلوب ، وان امسكت باهدابها الاحلام

ثغرها الوردي ، منفرج الشفتين ، تلوح الابتسامة عليه ، منعكسة عن بهجة الحلم !

لسانها يحدثنا في سكوته ، بما هو ارق على السمع من تغريد العنادل

ذوائبها الذهبية تطوق محياها ، فتصون ذوب اللجين من ان ينسكب

اطرافها ماثلة ، تشخص النشاط والفتوة ، وان ارخاها الاعياء وقيدها النوم

كل هذا جمال حقيقي ، لا يمحوه ضوء النهار او حلك الليل

***

لا توقظوها ، فهي في منامها ابلغ منها في يقظتها ، وهي فوق سريرها انفذ صولة منها فوق اريكتها

***

نامي ايتها الحسناء ، نامي

لقد اخمدت مشاغل الحياة منك النيرين — الفكر

والبصر — وانهكت الكيان

وكد جد اليوم دماغك ، فاضحى يتوق الى حلم الغد

وكل بصرك من النظر الى بيئة مبعثرة ، فصبا الى الامتاع من بديع الخيال ولامع الالهام

واخرس لسانك عيش كله تناقض ، فوددت ان تبلغينا رسالتك بصمت ، هو الفصاحة كلها

***

نامي ايتها الحبيبة الفاتنة واستريحي ، فما يعنيك من سهادنا وضنانا ، اذا ظفرت بالهنأة الطارئة ؛

نحن خلق مفتونون بجمالك السماوي

وجمالك ـ مثل كل جمال صحيح ـ متبد في اليقظة والمنام

وها هو ذا يفيض علينا باشراقه ويغمرنا بروائه

وهذي قلوبنا ترتص في الصدور ، اغتباطاً بالمتعة الكبرى

وما احلى غيبوبة تشملنا الآن ، فنطير مع احلامك التي تتزاحم على صدرك المترع بالآمال

***

نامي واستريحي ، فما احوجك الى الراحة انت اليوم عند سفح جبل الحياة

تكتنفك خمائل الشباب

وتغسل امواج الامل قدميك العاجيتين في نهر الحياة، كلما عبثتا برمال الشاطئ ، باحثة عن «خاتم البخت» مستفهمة من اكوامها واحافيرها نبأ مستقبلك

غداً تدمى قدماك ، وانت تتوغلين في مخارم هذا الجبل الاشم

غداً يفت الدهر في عضدك ، فتلهثين وتطلبين مثل هذه الضجعة الهانئة في ساعة لا تجدينها !

فنامي الآن ! وانتهبي اوقات الراحة وساعات الصفاء

فانها اوقات شرود ، اذا ذهبت لن تعود !

او يعود الصبي . . .

الى الطفل العظيم

كتبت في ذكرى ميلاد السيد يسوع المسيح له المجد

في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٢٠

في مثل هذا اليوم من كل عام تستيقظ في قلب

الانسانية عاطفة جديدة

فتنتبه من سباتها وتتهيأ لاقتبال موكب عظيم

١٩٢٠ سنة خلت وفي كل سنة في مثل هذا الصباح

يضج العالم النصراني ضجة سرور وانتعاش

حينما يوقف حركة عمله ويثبت خطاه وقد حول

وجهه شطر فلسطين

فلسطين، مهد الاولياء والنبيين، ومرقد الجبابرة والعظماء

ذلك الوطن الذي وقف فيه « ارميا » باكياً ينثر أدمع الرثاء

وانتصب فوق ربوعه « داؤد » مرنماً منشداً على اوتار قيثارته اهازيج الفوز والغلبة

الى بيت لحم تتطلع البشرية في موكبها هذا

وقد تحركت العواطف في القلوب وسبقت الابصار الى هنالك

تبحث عن المغارة المنفردة، تسائل الرعاة وحراس الحقول وتستهدي بنجم اشتد تألقه في تلك الليلة

كان عالم الفضاء اراد ان يشارك الارض في مهرجانها في تلك المغارة المنفردة الهادئة، التي لا يسمع فيها الا تأوه الرياح وحفيف الاغصان الجرداء ونأمة المواشي وثغاء الحملان الوديعة، ولد قبل ما يزيد على التسعة عشر

قرنا مولود عجيب يدعى «يسوع» في حضانة والده ضعيفة تدعى «مريم»

هذا كل ما وجد

ولكن العالم الاكبر وما فيه من العقول الكبيرة والقلوب الواعية ما برح يعظم هذا الطفل ،

ويردد في اقطار المسكونة كلها انه «اعظم مولود وضعته انثى»

* * *

تهافت الناس الى مدرج هذا الطفل الجديد

وقد حملوا اليه الهدايا الفاخرة والتحف الثمينة

وتقاطر اليه عظماء الارض وملوكها

أتوه بالذهب واللبان والمر

وتزاكضت الامهات لتهنئ الوالدة الجديدة بميلادها الغريب

وهذا الطفل لم يكن ليأبه بهذه الطرف النفيسة

لا لانه لم يكن يفقه لها قيمة

بل لانه قال عن نفسه بعد ذلك « ان مملكتي ليست من هذا العالم »

* * *

ولكن ما هذا السر الدفين ؟

اعتاد البشر ألا يحفل الا بالاغنياء ولا يعظمون الا الوجهاء والكبراء ، والطفل يسوع ولد فقيراً مجهولا في مذود حقير

والانسانية جمعاء تعظمه وتكرمه وتقدسه كما تقدس الآلهة

ذلك لان يسوع جاءهم بمبدأ سام

اتى العالم بروح جديد وبث هذا الروح في طبقات الشعوب

وقد عني عناية خاصة بالضعفاء والمساكين

جاء المسيح ليمسح دموع البؤساء ويسلي الحزانى
في وقت دك عروش الملوك الظالمة والقياصرة العاتين
واماد صروح الكبراء والمتنفذين
وحطم الانصاب التي اقامها البسطاء عبدة الاوهام
لان تلك العروش لم ترتفع الا على هامات المظلومين
وتلك الصروح ما شيدت الا على اشلاء البائسين
وتلك الاصنام انما نصبت لآلهة غريبة
قليلون هم الذين فهموا سر الحياة لهذا الطفل العظيم
واقل منهم، عرفوا عظمته التي تجلت لابناء الارض
باثواب المسكنة واطمار الفاقة
ان مولود بيت لحم جاء الانسانية بما هو اغلى من
الحجارة الكريمة والجواهر النفيسة
جاءها وفي يمينه «الحرية» معشوقة الشعوب وعدوة

المستبدين فاعطاها اياها

وبذلك اخرجها من حياة الجمود الى حياة حافلة بالاعمال المجيدة

نشأ يسوع وعاش جيلاً واحداً على هذه الارض ثم غادرها

اما بذور المبادئ التي بذرها فيها فنمت وزهت واعطت ثمرها للناس

وعندما ذاق الناس حلاوتها وتمتعوا بعذوبتها صرخوا « ما اسمى هذه المبادئ وما اعظم تأثيرها »

عاش مولود اليوم عيشة اختلفت عن عيشة الحكماء والمشرعين العظام

هو لم يكلم العالم بالغوامض والاسرار التي لا يحل مشكلاتها الا الفلاسفة

بل كلمه ببساطة ولم يخاطب جيله الحاضر انما خاطب الجيل والاجيال القابلة كذلك

يسوع لم يتملق البشر بحلاوة اللسان

ولا قال لهم ما به يجذب رضاهم ومحبتهم ليميلوا اليه

بل كانت اقواله تقع موقع السهام من صدور الذين تغلفت قلوبهم بالخضوع والعبودية

واسدلت على بصائرهم غشاوة من التقاليد الواهنة العمياء

اقوال قطع بها دابر الظلم ونفى الرق، وكون من مبادئه عاصفة اثارها على المجتمع الفاسد،

المجتمع المكبل بقيود ثقيلة من الاستعباد

قيدته بها اطماع الملوك وشهوات الرؤساء

فجاء يسوع وفكك تلك القيود وقطع أوصالها

وحرر البشرية من اسرها

* * *

وانت ايها الطفل العظيم

لئن كانت قد جهلتك عصور فقد عرفتك عصور اعظم منها

وان كان كثير من الناس يعيدون اليوم لاسمك فقط ويقومون ويقعدون للتقاليد التي جعلتها الايام كالاطار حول اسمك

فانت العظيم الخالد بمبادئك

والانسانية التي اخذت بيدها وانهضتها من هاوية الخمول والاعتساف

باقية مدينة لك بحريتها وسلامها، ما رددت الاكوان في مثل هذا اليوم المجيد من كل عام:

« المجد لله في العلي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة الصالحة »

صليبك وصليبها

(يسوع والانسانية)

كتبت يوم الجمعة المظيمة سنة ١٩٢١

في مثل هذا اليوم الذي تتحرك فيه النسمات

فتوقظ في صدر الفتاة عاطفة الحب ، وفي قلب الام

شعور الرقة والحنان وبين ضلوع الوالد احساس

الرحمة والشفقة

وفي هيكل الشاب الروح الثائر المضطرب الممتزج

بعواطف الحب وشعائر الحنان واحساسات الرحمة

في مثل هذا اليوم الذي تضحك ازهاره وترقص

مياهه وتترنم اغصانه

طربة معجبة بمولود الربيع وحياة الشباب وشباب الحياة

في مثل هذا اليوم الذي تبتسم فيه الطبيعة بفجرها الضاحك وحقولها النضرة وسمائها الصافية

وقد انجلت عنها غيوم الشتاء الدكناء.

في مثل هذا اليوم تأخذ الانسانية رعشة هائلة يعقبها فترة سكون عميق

فتتحول بباصرتها نحو اورشليم وتحدق في روابي الزيتون وجبل الجلجلة

وقد قام لديها الصمت مقام الكلام، والنظرات بدل الالفاظ، وضربات القلوب عوض الاشارات والحركات اجيال وجاءت ورحلت، وعصورات ودالت، والانسانية تقف في كل عام في مثل هذا اليوم وقفة غريبة

لتسكب دمعة على من مات شهيد مبادئه وصلب جزاء احسانه

طف احياء النصارى اليوم ،

وادخل معابدهم وكنائسهم ترها كلها متشحة بالسواد

وترى الكهنة والرهبان واجمين وقد حنوا رؤوسهم

وقطبوا وجوههم

كأن الهيبة اخرستهم وخلع عليهم الموت ثوب كآبته

ولو تراجع هؤلاء الناس الى انفسهم وفكروا مليا

لوجدوا ان هذا اليوم هو يوم الفرح والابتهاج .

لا يوم الحزن والكآبة

اذ هو موعد الغلبة ويوم النصر

فيه تغلب الحياة الموت وتنتصر الحقيقة على الباطل.

لولم يمت يسوع لما حيت تعاليمه

ولو لم يعلق على الخشبة لما تعالت دعوته ، وعمت

انحاء المسكونة

ان يسوع فوق صليبه ، لهو اعظم من قيصر فوق عرشه

وان في وقوفه واجماً على الخشبة ابلغ منه واعظاً بين الجموع

اذ الناس وهم الذين جبلوا من المادة لا تستطيع معدهم ان تهضم « المعنويات » بل يطلبون دائماً ان يشاهدوا الامور المحسوسة حتى يصدقوا

ولقد كان انصع برهان قدمه الفتى الناصري على سمو غرضه فيما نشر من المبادئ انه عرض نفسه ضحية للعالم ولا شيء كالتضحية الحقيقية يرسخ المبادئ ، ويثبت دعائم التعاليم الصالحة

وانت ياشهيد الجلجلة !

لم تبق وحدك منفرداً بهذه الآلام الجسيمة

فان الانسانية التي فديتها بنفسك ، واسقيتها علاج الحياة من كأس دمك

مازالت تثور مضطربة صارخة باكية

جزاء لما اصابها من تمرد بعض بنيها على نصائحك وارشاداتك ، بل نصائح وارشادات العالم البشري نفسه

وقد اشتد هيجانها في الايام الاخيرة

فارادت ان تصلب نفسها بنفسها ، ولكن فرق جلجلة ارتفعت على جماجم قتلى الظلم والاعتساف واشلاء فرائس الجوع والشقاء

بيلاطس وحده اصدر عليك الحكم

والانسانية الف بيلاطس بينهم كثير من المحتكرين والمستأثرين بالسلطات المستبدين ، والرؤساء العاتين والبغاة الافاكين

صفر على راسك اكليل الشوك ، دليل الهزء والسخرية
وعلى رأس الانسانية وضع اكليل شوكي ايضاً
الاان في اشواكه فشرة خضراء لكي يقول المتنفذون:
انه اكليل الغار شارة السلام والظفر !
يداك سمرتا بالمسامير

والبشرية تربطها القوانين الجائرة بقيود متينة الا انها براقة ، لان رجال الاحكام طلوها بالوان زاهية وسموها باسماء مستعارة كالمساعدة والمحافظة على حقوق الضعيف ، واسعاد العباد . . .

سقيت وانت على الصليب خلا ومرارة
والانسانية اليوم تتجرع على صليبها خل الخيانة ومرارة نكث العهود

طعنت في جنبك وانت مصلوب فخرج منه دم وماء

ولا تزال حبيبتك الانسانية تطعن في قلبها فتسيل منه الدماء

لكن المتحكمين يغمضون اجفانهم لكي لا يرون ما يفتت الاكباد، ثم يصدرون احكامهم قائلين:

لا بأس بذلك اذ لا بد من التضحية في مصلحة السلم العام

واذا كانت انك قد ارتمت على قدميك عند قاعدة الصليب في ذلك اليوم العظيم

فقد وجد لها اليوم كثير من الرفيقات عند قاعدة صليب الانسانية، بينهن عدد عديد من الثكالى والايامى والفتيات البائسات اللواتي فقدن معينيهن وافلاذ اكبادهن في ساحات الوغى او في حومة الاضطرابات والثورات اوفي بوادي الجوع والفاقة

اردت ان تمثل كبر النفس والعظمة الحقيقية فضل

تمثيل فرفعت عينيك على صليبك وقلت : يا ابتاه !
اغفر لهم لانهم لايدرون مايفعلون

والبشرية تضرع الى فوق صارخة :

يا ابتاه هب لحكام الارض رشداً رحمة بيني ، والن قلوبهم علهم يرأفون

انت صلبت في سبيل نصرة مبادئك الحية ، المحبة والاخاء ، والسلام

والانسانية مصلوبة اليوم لانها تريد تفكيك القيود التي غلت سواعدها الاجيال المظلمة وتطلب الانعتاق والحرية

فصليبك رمز سذاجة النفوس وخشونة الاخلاق وصليبها علامة سقوط المبادئ والاستئثار بالسلطة واستبداد القوة بالضعف ، فما اعظم صليبك وصليبها

الرسول العربي

كتبت في ذكرى المولد النبوي سنة ١٣٤١

في اعالي الجبال الجرداء وفي بطون الوديان المخيفة
مشت « كلمة الله » في خلقه واحفاد قحطان في
ضلالهم يتخطبون

***

نشأت اجيال وشاخت اقوام واضمحلت قبائل
و« فكرة الحق العليا » تائهة في الصحاري ضائعة
فوق الرمال

وابناء يعرب مشتتين في الفلوات تلفحهم هواجر
البيد وتفزعهم مهامه القفر

ضنت عليهم الارض بنتاجها كما بخلت السماء بمدرارها وحرمتهم الطبيعة من مناظرها البديعة فبرزت امامهم بالجفاء والخشونة

والانسان وليد بيئته واسير الطبيعة المقيد

توجده باعجوبة ، وتكيفه كما تشاء خلقاً وخلقاً وهو راضخ عان

وهكذا جعلت الطبيعة في سكنة الجزيرة صفاء الذهن، لما صقلت امامهم صفحة القبة الزرقاء

ورُكِّبَتْ الوعورة في اخلاقهم لما اوجدتهم في جبال وعرة وبين صخور مبعثرة صماء .

ثم لم تبخل عليهم شذوذا بدماثة في السجايا ورقة في الطباع

لما منحتهم كذلك الرياض الزاهرة والخمائل المعطرة

في جنبات البقاع وبطون الوديان

جمعوا بعض الاضداد واختازوا بخواص لم توجد في غيرهم

وهم ابناء يعرب واحفاد « سام » ظلوا خاملين في اعالي الجبال وبطون الوديان ، تائهين على بساط الصحارى.

بينما « كلمة الله » او « فكرة الحق العليا » تسير بين البرايا فتمنح الناس « النور » و « الحياة »

* * *

والانسان مطبوع على ان يوجه نظره الى جهة معينة ويتخذ له من فكره مثلا اعلى

هو « القوة » او هو « الحق » او هو « الله » ، يتمثل في دماغه بصور وهيئات عجيبة فيخلب لبه ويأسر قلبه

ولم يستثن العرب من ذلك فقد فتشوا عن تلك « القوة » او « الله »

وتمثلوها تارة في «نجوم» السماء واخرى في «غرائب» الكائنات

واقاموا الاصنام والتماثيل لهذه الآلهة الغريبة

فعبدوا «اللات» و«العزى» وقبلوا «الحجر الاسود» كما قدسوا «بئر زمزم» حينما رأوا فيها منبثق الخير ومعين الحياة

وصاروا يحجون الى الكعبة من اماكنهم المبعثرة ومساكنهم النائية

تجمعهم جامعة الجيل وتوحدهم اللغة وتضمهم الحيرة في البحث عن «القوة العليا»

* * *

نشأت اجيال وشاخت اقوام واضمحلت قبائل

و«فكرة الحق العليا» تائهة في الصحاري، ضائعة فوق الرمال

وابناء يعرب مبددون في الفلوات والمهامه، ضالون في قلل الجبال وبطون الكهوف .

حتى شاءت تلك « القدرة » ان تعلن نفسها لهؤلاء الناس بوحي عظيم

فاصطفت لهذه الدعوة فتى من انجب فتيان العرب

هو حفيد هاشم من اشراف قريش، هو نبي فكرة الله ، هو الرسول العربي « محمد بن عبد الله »

* * *

ولد النابغة القريشي في عهد ارتبك فيه امر العرب وساءت حالهم

وقد ضاعوا في ضلال المعتقدات الشوهاء والاوهام الباطلة

كما اشتبكوا في حياتهم العمرانية بالمشاجرة والخصام والغزو والاصطدام

فبشرهم الرسول بـ « كلمة الحق » ودعاهم الى الصراط المستقيم ، وهم عنه شاردون في ضلال مبين

* * *

هو وليد الصحراء هو ربيب الطبيعة الساذجة اودع سراً عجيباً ، ففهم لغزها وما تقوله بلسانها الصامت وادرك بنظره الثاقب من موحيات الحقائق ، ما ضاع على غيره من الخلائق

فوجد في ذلك الظلام الحالك ، بريق الحقيقة ونور الحياة والتقى بـ « كلمة الحق » المتمشية في خلقه فقبلها وجاء بها قومه ، هادياً لهم ومرشداً امينا

* * *

كان اميا ، لكنه عرف سر العلوم والفنون

عاش بسيطاً ، ففتح الله عليه بالحكمة البالغة

ناوأته عشيرته ، ونبذته قبيلته، وناجزه قومه العداء

اما هو فظل يسير في طريقه، يعمل لما جاء له في السر

والعلانية ، تائهاً في الفلوات

وفي يمينه «قوة الحق» وعلى صدره شارة «الاخلاص»

و «التفاني»

حتى فازت «فكرة الله» على سخف الاباطيل

وحطمت المبادئ السامية الراسخة اصنام الخرافة

وهيا كل الوهم

فانتشرت «كلمة الحق» وسادت تعاليم «الايمان»

فخضعت له ملوك عدنان واقيال حمير وقحطان

وسجدت لقدسية دعوته صخور جبل حراء، وشواهق طود الطور . هاتفة باعلى صوتها « لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ».

* * *

في اعالي الجبال الجرداء ، وبطون الوديان المخيفة والسهول انتشرت « كلمة الله » من فم « الامين »

وذاعت تعاليم الايمان القويم

متضمنة في انشودة الحق ونغمة الصلاح مكتوبة في كل فريدة من آي القرآن الكريم

* * *

حارب الرسول العربي الجهل بسلاح العقل والحكمة ثم عضد دعوته بسيف القوة اذا حوجته الدعوة الى ذلك ، وماهو في كلتا حالتيه الا عدو الظلمة واخو النور

ورسول فكرة الله .

* * *

اعتنق ابناء عدنان وقحطان الاسلام فكان لهم به يقظة ونهضة كبرى

فنفضوا عنهم غبار الخمول ، وتحركت في نفوسهم الهمم فساروا الى المجد

سراجهم تعاليم الله ودليلهم فضائل الاسلام

غادروا جزيرتهم وضربوا في مشارق الارض ومغاربها

دوخوا الامصار والممالك ، وانتشروا من اقصى الهند الى ما وراء الاندلس

فشيدوا لهم ملكاً فسيحاً على قواعد الايمان القويم

وهاهي الدعوة التي دعا بها الرسول العربي منتشرة في انحاء المعمورة كلها

يحتفل المسلمون والعرب اليوم بذكرى مولد النبي العظيم

متمثلين في شخصه حياة النبوغ والعظمة الخالدة، صارخين: « لا اله الا الله وان محمداً رسول الله »

وفي ذلك فخر العرب وعنوان مباهاتهم ابد الدهر

أوراق الخريف

غاب عنا الصيف ، بعد ان ترك في اجسامنا اثراً من لفحاته المحرقة وسمومه المؤذية

ودنا منا الخريف، فصل الشعور والاحساس

فلننظر نظرة الى العلاء ، نشاهد على حاشية الافق مليكة النهار ترمقنا بنظرات نافذة

وقد احمر محياها وغدا قطعة من الذهب الوهاج

ترسل اشعتها ، فاذا هي ضئيلة كانها معكوسة عن قلب محب برح به البعاد

كنا نتنسم في الصباح نسمات بليلة تنعش نفوساً احرجتها الكروب

فاذا نحن برياح تتثاءب كأن طرف الوجود اثقله الكرى وعواصف تتأوه كأن الطبيعة عابس تصعد الزفرات على جمال خال وجلال ابلته الليالي

لنذهب الى الحقول ولنمتع ابصارنا بعروس الطبيعة وهي تنزع حليها وحلاها

الورود احنت رؤوسها ، والاشجار تتساقط اوراقها مرتجفة فازعة ، والخمائل تذوي وقد شحب لونها ، كانها في وجل من شبح الموت المتردي بقطع الغيوم

فيا ايتها الريح الظلوم

ما لك تجنين على هذه الزهرة فتصوحينها وتنزعين من صدرها الحياة

وما ذنب ذلك الاملود الرخص تعرينه من اوراقه الخضراء

لجج البحار تتلاطم، وامواج الانهار تتقلب ووجوه البحيرات تتجعد وكل الامواه في اضطراب

لان دمعات حارة سقطت عليها من مقل السحاب .

* * *

اين انت ايها البلبل !

ومن اوقف هديلك ايتها الورقاء !

بل من اخرسك ياعنادل الرياض واطيار الفضاء ، اطربينا بنغماتك المحبية . . .

سكوت عميق قد ساد الحقول والرياض

لان بعض الطيور رحل الى المناطق الحارة

وانكمشت البلابل والشحاريرفي بطون الغابات والاحراج وحل محلها نعيب الغربان وصرخات الوحوش المزعجة

الطبيعة اليوم في حداد ، كل مافي هذا الوجود من نبات

وحيوان قد تردى الكمد ووجم في مكمنه

حتى الانسان تراه قد حمل على عاتقه بقايا غلاته وهو يودع الارياف قاصداً المدن ليلجأ الى المنازل ويأمن مهاجمة الزوابع والامطار

رياح تهب فتنزع الاشجار وتنثر اوراقها صفراء .

— يا بنات الحقول خيطن من هذه الاوراق الجافة كفناً جميلا للصيف

— ذلك الجبار الذي صرعته الاعصار وبمصرعه انتزعت الابتسامة من ثغر الوجود

نعم ان الصيف لجدير بهذه الكرامة فهو الذي ينضج الاثمار ويزكي النبات ويساعد ابن آدم على استغلال الارض هو الذي يفسح صدره للفقير فيجد في كنفه ساحة رحبة اما الآن فالبائس يتململ من لذعة البرد ، وها نحن

نراه يهرول الى المدن ليقرع ابواب المحسنين

***

وانت ايها الخريف ان كان الربيع يبهجنا بازهاره وانواره

ويسعدنا من رياحينه بكل خميلة معطار

والصيف يمنحنا الثمار الطيبة والقطوف الدانية

فما انت معطينا !

نراك سلبت محاسن الطبيعة وجعلت منظرها كئيباً

اهمدت خرير الجداول واصمت كل صوت مطرب

حجبت عنا صفحة الرقيع الزرقاء وما فيها من الصفاء والرواء

وجللتها بالغيوم الدكناء ـ غيوم تنقبض لها النفس.

***

فما هي منحتك ! . . .

ان عطيتك اثمن من عطايا غيرك من الفصول

انت تعلمنا سر الانحلال والاضمحلال وتمثل لنا خاتمة الحياة

انت نذير الموت يقف عندك المفكر خاشعاً لانه يقرأ على جبينك كلمات الزوال والفناء وعبارات الدثور والعفاء

اجل يافصل العواطف والشعور

ان كان الربيع يلهينا ببهجته ولطافته

والصيف يخدعنا بلذائذه وطيباته

فانت تمثل لنا العبرة وتملي علينا دروس الحكمة البالغة

وانما هذه الاوراق الضئيلة التي تتلاعب بها الاهوية صحائف جليلة نطالع فيها حديث الوجود فنفهم معنى الحياة الحقيقية

فالقلوب الواعية تحفظ لك اثراً طيباً

اول العام

كتبت في رأس السنة الميلادية الجديدة ١٩٢١

بين غروب الشمس أمس واشراقها صباح اليوم
ودع الناس عاماً قديماً واستقبلوا آخر جديداً
ولقد كان في الاشعة الاخيرة التي لمت شعثها
الجوناء أمس
ظل كآبة وحزن عميقين
كما رأينا لعاب البهجة اليوم يسيل على اسلات الالسنة
النورية المندلعة من الافق البعيد
اما ذلك الظل القاتم فهو رمز الى القلوب اليائسة
والافئدة المشتعلة لوعة
القلوب التي تصرم حبل سنتها ولما تفز بواحدة
من امانيها

بينها قلوب كثيرين من قادة الامم والمصلحين والاساتذة والآباء والامهات والعشاق والاحباب

اما الاشعة الباسمة صباح اليوم فهي شارات الامل الضاحك والامنية الجميلة

المتوطنة قلوب الناس والمتوسدة عقولهم

وما برح الناس مسيرين بالآمال مقيدين بالاحلام مغلفة قلوبهم بالاماني

ذلك ، الماضي المندرس الذي ودعناه أمس مع اخر نفس من انفاس النهار

وهذا ، المستقبل الحلو الذي فتحنا له صدورنا عند الفجر

* * *

ودعنا صاحبنا العام القديم وقد حملناه عبئاً ثقيلا من اعمال سنة كاملة

منها الحسن الذي تشرق له النواظر ، والقبيح الذي

تنقبض لذكره الخواطر

هكذا حياة ابن آدم

واستقبلنا ضيفنا العام الجديد

ونحن كلنا عيون شاخصة واذان صاغية وقلوب واعية

لان القادم جديد من عالم الازل

هو رسول اللانهاية، تمثال الامل البديع و«ما اضيق العيش لولا فسحة الامل»

سنة مضت وقد جرت وراءها اياماً وشهوراً

وسنة تجيء ثم لا تلبث ان تقتفي اثر تربها

لتندغم في الماضي وتنشئ حلقة جديدة في سلسلة عظيمة مجهولة الطرفين . . .

هي الزمن !

ولكن واعجبا !

اننا نحب الحياة ونتفانى للخلود
ولو كان في الحياة خرط القتاد وفي الخلود العذاب الاليم
ثم انا نشيع عاماً خلقت جدته غير آسفين
ونستقبل وليدنا الجديد فرحين

مع ان بين ذاك التشييع وهذا الترحيب ينتثر عقد من سلك اعمارنا وتنقضي مرحلة من سني حياتنا

وهكذا ندنو من باب القبر ملتقى طريقي الحياة والابد أجل . نحن انما نبسم للجديد لانه مبطن بالغيب محجوب وراء سجف الجهل

والانسان متعود على ان يدفعه امله الى الظن بالآتي خيراً

وهذا سر يحملنا على الجد في السير ومتابعة الخطا مع العثرات التي تعترضنا في طريق الحياة

* * *

على عتبة السنة الجديدة يقف المرء مفكراً متبصراً
ينظر الى السنة المدبرة وما مر عليه فيها ، فيرتاح
للمسرات ويتنهد للموجعات

وبين ارتياحه وتنهده يستحوذ على نفسه ذهول
ينسيه ما هو فيه

ذهول يحلق به الى ما فوق ، بعيداً عن روابط المادة واشغالها
فيرى عالماً فسيحاً من الخيال كل ما فيه يسحر
العقول ويشده الالباب من الجمال والحسن

فيبعث في صدره عزم جديد وهمة متضاعفة
وينهض من مربضه متحولا الى بقعة اخرى
وهو موطد العزيمة على ان السنة الجديدة فاتحة
خير وبركات

فيصعد زئبق الامل في مقياس نفسه

ويأخذ في مناجاة ذاته الثانية الكامنة بين حنايا ضلوعه قائلا :

اني وان لم اتوفق الى انجاز رغائبي في الماضي فلسوف انالها كلها في الغد .

سأبدل السبيل التي قطعتها وراء رغائبي بسبيل اخرى اقرب منها وآمن

سأكمل الاعمال التي شرعت فيها من قبل

سأرسم للاعمال الجديدة خططها

مما يفيدني ويفيد بلادي

سأضع لحياتي اليومية منهجاً حديثاً اسير عليه بدقة وحذر

سأعمل على تحسين سلوكي لاكون محبوباً من كل احد مطيب النفس مرتاح الضمير

الغلطات التي ارتكبها متعمداً اوعن غير قصد
سأسعى في مجانبتها الكرة
وبجملة : —
سأتخذلي دستور حياة جديد يرضي ضميري والناس
وهكذا اعيش سعيداً
هذا ما يناجي الانسان العاقل نفسه سحابة النهار
وحري بكل ذي فكر سديد ان يحذو حذوه ويتبع
خطواته فينال حظه من السعادة

* * *

والعام الماضي الذي ارتمى في احضان الابدية امس
لننس ما تضمنه من الآلام ولا نبقي الا على طيباته
التي نردد ذكراها بكل مهزة وانتعاش
والقادم الجديد الذي وصلنا اليوم
لنسأل القدرة العليا ان يكون لنا فيه الفرح كله والسرور كله

وان يكون عهد خير وفاتحة عصر جديد لوطننا العراقي المحبوب

وهو في طور تأسيسه الوطني

العراق، وادي الرافدين، بلادنا العزيزة، بلادنا وحدنا لا برحت كل عام

وانت وبنوك في خير وسعد وسلام

تذكرتي العزيزة

« او مفكرة الجيب لسنة ٩٢٠ »

وداعاً ايتها التذكرة العزيزة !

اليوم صافحتك انامل مصافحتها الاخيرة

وقد خطت اخر سطر في اخر صفحة من صفحاتك

السود والبيض

وتريني كمن يشيع رفيقه ، ارمقك بعين شكرى

لانك عشت معي حيناً من الدهر

كنت فيها رفيقي في السراء والضراء

وقد بلغ شغفي بك ان ودعتك سرائر نفسي كلها

وبثثتك شكاوي وافراحي بانواعها

لما وجدتك آمن رفيق واوثق صديق كتوم حفيظ

* * *

احبك كثيراً يا تذكرتي العزيزة

لذلك كنت احملك معي في جيبي ولا اريد مفارقتك هنيهة

— لقد وسدتك صدري ووضعتك بجانب قلبي لانك جزء من نفسي

عهدتك وفية صادقة

واعظم دليل على وفائك انك شاطرتني آلامي

لهذا اصفرت اوراقك، وظهرت على محياك امارات الكمد والجوى

وقد كنت مشرقة زاهية ناصعة الجبين مكللة باكليل الذهب

٣٦٥ يوماً قضيتها في صحبتي

كنت احدثك فيها عند ابتسام الفجر وغفوة الاصيل

وانت تنذريني كل يوم - بارقامك وشاراتك -
ان يوماً انتزع من حياتي
كانك تقودينني الى الفناء ، وتمثلين امام عيني رعبة القبر ، ومع كل ذلك لم امل صحبتك
اني حي - نظير سائر الاحياء - احب الخلود في هذه الحياة وانت كنت لي نذيرة بالزوال والاضمحلال
بهذا التناقض عشنا عاماً كاملا متصافيين الا ان عقلي كان ينازع قلبي فيك
قلبي لا يود ان تراك عيني لانك تزيدين في ضرباته وفكري يرتاح لدى مشاهدتك لانك كنت لي بمنزلة الواعظ الصالح
تعرفينني بقيمة الحياة الحقة وتصفين لي سرعة الايام في عبورها ، وبما حوته جوانحك تعلمت انه لا يبقى من

الايام الا تذكاراتها وفيها الغصات والبسمات

لقد حوى صدرك آثار نفسي سنة كاملة

وسطر قلمي في خلالها على الواحك « الخالدة » وقائع مختلفة عرضت لي ولبلادي في طريق الحياة

سنة من صباي وما احلى سني الصبا ،

كلها حب وكلها عواطف ، آمالها عظيمة ويأسها عاجل ، هي كشقائق النعمان في صباح آذار

تستقبل انوار الصباح عالية الرأس شامخة العرنين

ثم لا تلبث ان تسقط على الحضيض قبيل الضحى

كلما وددت الرجوع بفكري الى الماضي لا محيد لي عن الرجوع اليك والى صويحباتك — تذكرات السنين الماضية —

لتساجلني الدموع وتشاطرني الابتسامات

الآن ، اطبق دفتيك للمرة الاخيرة

واقبلك بكل عطف واحترام

ثم اضمك الى شقيقاتك السالفات لتكونين جزءاً جديداً من « دفتري الاسود[1] »

بل فصلا مستجداً من فصول رواية الحياة ، الثائرة بغرامها ، المتمردة بعواطفها

سلام عليك

اذا كنت انت لاتنسينني لان في صدرك عنواني معناي فكذلك حالي معك اذ قد اودعت ضلوعك قطعاً من قلبي

وداعاً ايتها التذكرة العزيزة

وسلام عليك يوم وجدت ويوم تقضت ايامك ويوم تبعثين

---

(١) « الدفتر الاسود » اسم مذكرات منشئ الريعيات

النابغة

القيت في احتفال أدباء العراق بالريحاني سنة ١٩٢٢

أنا رفيق الطبيعة. أنا طريد الزمان

أنا حبيب الانسانية . أنا عدوها اللدود

مكاني معروف وان عشت بغير مكان

وذكراي لا تبرح الاذهان وان تجاهل بوجودى

كثير من أبناء الانسان

* * *

كونتني الطبيعة من لا شيء أو من كل شيء

فسكبت العاطفة في قلبي ، ونشرت الاحساس

في عروقي

استغنت قريحتي بالخيال لما تلقفتني اشباح الليل ،

وخلعت علي عرائس النهار مطارفها النورانية فسددت

خطواتي بعد ان أدمت رجلي حسك البراري
وأشواك الجبال

وسلم ذوقي عقيب ان هذبته مشاهد الجمال والفن والجلال
من صنع الله، وعمل روح الله، المتسجدة في هذا المخلوق الفتان

* * *

أنا رفيق الطبيعة، بل أنا عشيقها، سبيلي سبيلها،
ومحجتي محجتها

لاني رأيت في ساحة الحياة هيكلا عظيما هو مذبح
الطبيعة الرهيب الذي تضحي عليه معشوقتي أعداءها
وما اعداؤها الا من عشاقها مثلي

ينحرفون عنها، ويسلكون سبلاً غير سبيلها فتصرعهم
وفي مصرعهم آية الحياة والموت

* * *

وجدتني في مجاهل ارض ، كل مافيها يثير الدهش والذهول

ورأيت نفسي مكبلاً بسلاسل التقليد ، سجيناً في قفص الاوهام ، أسير عادات بالية ، ورهين أوصاب مالها من شفاء

ولما كانت الطبيعة قد ركبت في خلقي الجرأة الشديدة النادرة

حطمت السلاسل و كسرت القيود ، وقوضت جدران الوهم ، وانعتقت من كل عادة مضرة درج عليها اجدادي

فصاح اخواني وصخبوا ، وأعولو وبكوا

لما رأوني خارجاً عن سجنهم ، اتمتع بحريتهم منها محرومون

وشاهدوني أرفل في صحة وسلامة ، وهم في

آلامهم يتعذبون

ناوأتني طبقة خاصة من الناس

اولئك الذين يتخذون من جهل الشعب علمهم، ومن ضعفه قوتهم

اولئك الذين يغيرون ملابسهم، ويشوهون سحناتهم ليغشوا على عيون الشعب المسكين، ويسحروه بحركاتهم وسكناتهم ودمدمتهم

لكني لم أعبأ بكل ذلك لان طريقي غير طريقهم وغايتي تختلف عن غايتهم

هم يريدون ذبح ابناء الشعب ليشربوا دماءهم ويتغذوا بلحومهم

اما أنا فاحب ان يعيش أبناء جلدتي عيشة حرة طليقة

عيشة لاينحرفون فيها عن سبيل الطبيعة القويم ،
فلا هي تصرعهم ولا هم يهلكون

* * *

أنا رفيق الطبيعة ، أنا طريد الزمان
أنا حبيب الانسانية ، أنا عدوها اللدود
احبها بل أقدسها في سذاجتها وبساطتها
وأبغض منها التصنع والتعمل وكل طلاء وبهرجة كاذبة
احب الانسانية وابناءها اذا هم ساروا في مهيع الحب والحق والسلام
وأشنأهم اذا ارادوا تدنيس الحب بالشهوات ، واخفاء الحقيقة وراء سجوف الرياء ، ونشر السلام بالسيف
مكاني معروف ، وان عشت بغير مكان
وذكراي لاتبرح الاذهان ، وان تجاهل بوجودي كثير من ابناء الانسان

وسوف يعرفني رفاقي متى رفعوا الغشاوة عن اعينهم، فيعلمون انني واياهم في الجوهر متفقون وان اختلفنا في الاعراض

في ذلك اليوم يصبح العالم عالمي، وأبناء الحياة اخواني

في ذلك اليوم لا أعشق الطبيعة وحدى ، بل اعشقها واخواني سوية، ونسير في سبيلها معاً فنفوز بالحياة الحقة، الحياة الخالدة

حياة الحب والسلام ، حياة الحق والوئام

الحب المكتوم

في العين شعاع ، وفي القلب التياع ، وفي الرأس صداع

يجول شعاع العين ، ولا يجرأ على الالتماع

يذوب القلب لوعة ، وهو حبيس الاضلاع

ويضطرب الفكر ، ويقلق الخاطر ، حتى لتحسب الرأس مصدوعاً وليس في الرأس صداع

ان هي الا فتنة الهوى ، وبرح الغرام

غير ان اللسان قصير ، والبصر كليل ، بل هذا مكلول وذاك مقصور

قيد من السن ، تأخر في التهذيب ، عادات واطوار درج عليها الاسلاف ووسموا بميسمها الاخلاف

هذا البلاء ، يجعل الهوى علة ، والغرام سبة ، ياله من كفر عظيم

***

هو الحب المكتوم ، سره في النجوم ، عيشه في وجوم

يحار في تدبيره اصحاب القرائح والفهوم

* * *

قد يكظم الفتى غيظه ، وقد تكتم الفتاة اوجاعها ولكن العاطفة الحبية ، فضاحة ، حارة ، متدفقة فلا يطيق الفتى ولا تطيق الفتاة كظمها او كتمانها بل لا بد ان تنبىء الملامح ، وتنطق الشارات بما تكن الجوارح

ان لم يعبر عنها اللسان بنبراته ، فقد يحصيها الجنان بنبضاته ، ويفصح عنها الصدر بارتجاجه وهزاته

وان سكتت عنها الاطراف بالايماء ، فهي بادية للنواظر في النظرة الساهية والخطوة المرتبكة والحركة الفاترة

* * *

الحب المكتوم ، ظاهرة من ظواهر الضعف في البيئات المنحطة

يسعد به المحبوب ويشقى المحب

بل ربما يشقى الاثنان ، المحب والمحبوب ، هذا بهواجسه وذاك بسهاده وجواه

ولو رفعت الغشاوة عن الابصار ، واطلقت الالسنة من العقال ، وقضى على هاتيك العادات والاطوار لما رأيت لهذا الحب فضلا ، ولما شهدنا للهوى مصارع وضحايا

* * *

ولكن . لا ، لا !

في الحب المكتوم شيء من سعادة العالم الاسمى

وفي العاطفة الخفية فيض من قدسية « العذرية »

يلذ للذين يعيشون بارواحهم « حبك المكتوم »
لانه غذاء الروح

اما الماديون — عبدة الشهوات — فلا يسيغون هذا الهوى ولا يستمرئونه

فان كنت تعيش بجسمك وتستطيب اللذة بمادتها، فاعيذك من شقوة الحب المكتوم

وان كنت تحيا بروحك وتهنأ ببسطة عقلك ومتعة حسك

فاسأل لك نقمة الحب المكتوم، بل نعمة السر المظلوم

الى الريحاني

من مدينة الحديد والبخار ، الى حديقة الشعر والخيال

من موطن العمل والجد والحركة المنتجة ، الى

مسرح الامل والشعور والاحلام التي تتولد وتنمو وتفنى

كل يوم بل كل ساعة

جاء فيلسوف الفريكة ، ابن لبنان ونابغة العرب

وافانا من ارض كولمبس ، بلاد الحرية وربوع السلام

يحمل الى اقطار الضاد نفحة من نفحات الفكر الطلق

في ذلك العالم الديمقراطي

وفي حقيبته « بذور للزارعين » يريد بذرها في

حقل هذا الشرق العربي المعروف بزكائه وخصبه

بعد ان علت الثورات والانقلابات الاخيرة في

تربته مايفوق عمل الفلاح في حرث حقله وتخديد ارضه حدثنا ياالخا العرب عن عظمة امريكة المادية ومجدها الادبي

ارو لنا عن عجائب تلك البقعة الذهبية التي كانت سجن العبودية فغدت بفضل رسل الحرية ودعاة النور امثالك بلد الحرية والسواء والعدل

ولما تذوقت شهد الانعتاق وادركت قيمة الحياة الحرة الطلقة دفعتها مبادئها القويمة الى السعي في تحرير العالم المقيد وفي ضمنه شرقنا الجامد

قدمت من بلاد النشاط والسعي والحياة العاملة

فلا تعجب مما تشاهده عندنا من الايدي المغلولة عن العمل والافكار المقيدة بالتقليد والروح النائم. ولا يروعنك الحال اذا مشيت بين هياكل بابل المائلة

وتخطيت مدائن العباسيين الداثرة ، مدافن الحضارة وقبور العلم والفن والادب

بل انثر عليها من دمعك مايمتزج بدجلة والفرات ، النهرين التاريخيين اللذين لم يستطيعا ان يغسلا بامواههما الطاهرة النقية لطخة العار التي لطخها في وجه الانسانية ظلم الانسان وجنونه

ذلك عمل الغزاة والفاتحين الذين قضوا على مدنية الجدود وقوضوا مارفعت من صروح العلم والعرفان وأركان المجد والعمران

***

ولكن لا ! لا ، لقد دنا الزمان الذي نكفكف فيه الدموع وننهض للعمل

فلنبحث في مرابعنا عن الروح الراقي الذي كتب

عليه ان يرقد رقدته الطويلة فهزته النهضة العربية الحاضرة وانعشه « عصر القوميات » فصار يتحفز للنهوض بل للوثوب وثبة الابطال والجبابرة

ايها الفيلسوف المفكر

انبتك لبنان ، الجبل الجميل ، واحتضنك واديه المهيب ، واوحت اليك سماؤه السحرية بايات الشعر ونفخت فيك ارضه المقدسة روح الفلسفة

فهجرت الوطن بجسمك لا بروحك

وركضت الى عالم الحياة والعمل وقومك في سبات عميق ، اميركة عالم غريب ، وزن اشعاره دقات المطارق وصلصلة الحديد

وخياله دخان المعامل

وموضوع فلسفته الحياة والحركة والعمل ، العمل المثمر ،

وبعد ان اختلطت في ذلك العالم الحي التفت الى ارض اجدادك

حيث روحك تداعب سحب الجبل البيضاء وامواج المتوسط الزرقاء

فراعك جمود ابناء قومك العرب فاهبت بهم من مهاجرك البعيدة

ولعلمك بانهم قوم احساسيون عائشون بالاحلام والخيالات خاطبتهم بما يفهمون وابتدعت لهم ذلك البيان العصري السلس في اسلوبك الممتاز وشعرك المنثور

انت تعلم ان الطفل المريض ينفر من الدواء ويحبسه السم الذعاف وتعلم ان الشرق طفل في نهضته الحديثة

لذلك نراك سكبت دواءك في زجاجات بلورية جميلة شفت عن الوان بديعة فاشتهته النفوس وتعشقته الارواح

ولم تقصر خدمتك على ابناء قومك بل اردت تعزيز اسمهم لدى الغربيين وتبيان مقام اسلافك العرب الصيد عندهم

فترجمت بما اوتيت من بيان خلاب في اللغتين رباعيات نابغة المعرة ولزومياته الى لغة السكسون، فاطلعت الاقوام الغربية على قريحة العربي وعقليته السامية

وجمعت بعملك فلسفة الشرق بفلسفة الغرب

فاكبرك العالم الغربي

واكبر اكثر من ذلك امة انجبتك وادمغة عربية اتت بمعجزات الفلسفة وبدائع الادب

ولا نخالك قد اكملت شوطك

اذ الواجب عليك اليوم ان تنظم رباعيات النهضة القومية الحاضرة

وتنقل الى اصحاب العقول الكبيرة والقلوب الواعية

من الغربيين ما لقيته وتلقاه في ارض الفراعنة واغوار الجزيرة وانجادها ووادي الفراتين وسهول سورية واعالي لبنان

من آثار اليقظة وبوادر الانتعاش

ثم ارجع ببصرك الى عالم الضاد وناجه ببيانك الوضاح وبلاغتك الساحرة، مظهراً له ما وقفت عليه من مواطن الوهن فيه

يا ابن سورية الحسناء

اذا رأيت العراقيين يحتفون بك ويبالغون في اكرامك فلا تحسبن انهم يكرمون عقلك وقلبك فحسب

كلا، انهم فوق ذلك يكرمون طينتك

اذ انت الشقيق العربي ابن الشقيقة سورية

والعراق اخو البلدان العربية كلها، ينزع الى استرجاع

ذلك المجد الخالي ولا يرى انه يبلغ مرامه بغير الاتحاد والاجتماع

فاذا بلغت ديار اهلك ووقفت على ساحل المتوسط في مدينة العلم والادب بيروت

او توسطت عاصمة المجد الاموي

وصعدت الجبل الشامخ ولامست ذروة صنين

فحيي عنا سورية . سورية الكبيرة

والق على تلك الربوع النضرة بسمة هي عاطفة العراق العربي نحو شقيقته سورية العربية

وسلام عليك يانابغة العرب والف تحية

ساعة الوداع

الى الاستاذ معروف الرصافي

يوم مغادرته بغداد في ت ٢ سنة ١٩٢٤

ابتعد عن هذه الاكواخ الحقيرة، والقصور الفخمة،
فلا موطئ فيها لقدميك!

ان في الاكواخ اشباح الفقر والمسكنة، وفي
الصروح هياكل العظمة الباطلة

يجلل كل ذلك ستار من الظلام الدامس

* * *

ازدحمت في بقعتنا الارجل، وبسطت الايدي
فضاق لها الفضاء،

الكل يطلب أمراً ليس له

فابتعد عنا فماهذه بديارك اذا كنت لاتطيق مزاحمة المزاحمين في هذا المعترك الهائل .

* * *

أعرفك الماضي ؟ لا اعلم ! أ يعرفك الحاضر ؟ لا اعلم ! والمستقبل ؟

المستقبل لك وليس لغيرك فحسبك هذا ان في الماضي صحيفة مطوية ،

وعلى الحاضر غشاء من المطامع والمآرب الذاتية ،

أما المستقبل ، المستقبل البعيد ، فهو مرآة صافية ،

على تلك المرآة الوضاءة ستشاهد الاجيال القادمة رسمك فتتعرف بك ،

يوم لا تكون مجهولا او غريباً او طريداً

كما هي حالك بين ابناء جلدتك اليوم

* * *

الانقباض في اسرة وجهك

والتذمر على شفتيك

والدمع يترقرق في عينيك

وما لهذا خلقت !

بل انت رامز الابتسام، وبشير السلام، وموضوع البهجة والسرور

لكن جيلك جيل ارعن

لا يفقه معنى الابتسام الصافي والسلام الشريف والسرور الدائم

بل هو يريد الابتسام المبطن بالرياء

والسلام المتولد من الخصام

والبهجة الزائلة زوال الاحلام

فانأ عن جيلك هذا

جيل يعكس مواهبك ، ويقلب طبيعتك التي عليها فطرت .

* * *

والجمال الذي شده لبك ؟

والجلال الذي راع قلبك ؟

والفن الذي ركز في طبعك ؟

هذه امور غريبة في موطنك، بعيدة عن ابناء جيلك فهم لا يعرفون من الجمال الا ما قام بالهياكل المادية ولا يروعهم غير الجلال الكاذب الذي يغتصبه الاقوياء غصباً

اما الفن ، فوا حسرتي على الفن ، هو اضيع شيء في بلدك

وان صرخت العصور السالفة، واشارت بيمين التاريخ:

ان هذا معهد الفنون ، وموطن العلوم في القديم
فارحل عن ديار يحتقر فيها الجمال، ويستنكر الجلال،
ويضيع الفن

* * *

أسمع منك الانات الموجعة
وأحس بنشيش صدرك
— وأرى الجروح الداميـة في قلبـك الذي وضـعته
بين يديك !
— وما اناتك الا من حقيقة اضاعها قومك ،
— وباعث تألمك عز بددته امتك
— اما كلوم قلبك فعلى ماء اراقته الوجوه
لا تيأس !
فالحقيقة نور لا يزال ملوحاً في فضاء يبشتك ، اذا

لم يتحول اليها اليوم فهو متحول غداً

والعز سر دفين يبعث بعد حين

واراقة ماء الوجوه . . . عمل فئة حل عليها غضب السموات ، فابتلتها بهذه الآفة

* * *

واذا كنت تهجر بيئتك الراقدة اليوم

فلا تكسر القيثارة التي في يمينك

ولا تقطع الصوت الصارخ من اعماق قلبك

بل اسمعنا من وراء السهول والبحار نغمات الحب والحق واناشيد الجمال والجلال .

عسى ان توقظ تلك النغمات الآتية من بعيد ، والمتكسرة على شواطيء دجلة والفرات

ما رقد في قلوب القوم من العواطف الكامنة والمشاعر الخالدة .

ابتعد عن هذه الاكواخ الحقيرة، والقصور الموهومة، فلا موطىء فيها لقدميك!

ولا تنتظر ان يرفع هذا الجيل باصرته ليشملك بنظرة الوداع

فهو في بحران مروع من المشاغل، يركض وراء الاهواء والمطامع غير ملتفت الى امثالك

وسينتبه بعد حين ويبحث عنك فلا يجدك

يتطلع اليك وانت في مهاجرك البعيدة، فيقتبس من شعاعك المتطاير هنا وهناك

فأنت أنت، اليوم وغدا شعلة النور والذكاء في كل مكان وزمان

الزنبقة

هي بنت الحقول ، وربيبة الخلاء

بانت درة على الارض ، فحكت اترابها من دراري القبة الزرقاء

فلله منها أميرة في دولتي الارض والسماء

قامت على ساق اخضر ، وتبدت بمحيا أغر أنور

فرمزت بساقها الى الخصب ووفرة الثراء

واستهوت بطلعتها ابناء النور وعبدة الجمال

* * *

تنال منها الشمس ملمساً ، فتداعبها بانامِلها الذهبية

ويحسدها على ذلك الغمام ، لكنه يعز عليه مداناتها

فهو يظل على الدوام يسكب عليها نثار مدامعه معلناً حسراته واشجانه

وهي تنضح بتلك المدامع وجهها الاغر . وتنهل منها
ماعذب لتنعش قلباً لها كمينا

* * *

هي درة الغبراء . هي كوكب السماء
هي الزنبقة رمز العفاف والطهر والصفاء
تقطفها العذراء اينما رأتها . اذ تجد فيها شارة القلب الخلي
وتحلي بها صدرها فتوسدها قلباً خافقاً
ما هب لها اريج الا وبعث في الخواطر ارتياحاً يذكر
بطيب البر وشذا الاحسان
ولاشعة نورها الا ليوحي الى الزهاد والعشاق والشعراء
بمعاني الاخلاص والحقيقة البيضاء
لها وحي نقي ، ولها الهام سري

* * *

فيا درة الارض و كوكب السماء

كلنا اعجاب بسنائك . واجلال لمعانيك

اتخذناك شعاراً لهذه المجلة[1] ووسمناها باسمك الجميل لانها بشير الفضيلة . ونذير الاخلاق وصحيفة الادب

فلا تسكن الفضيلة الا قلوباً طاهرة نقية مثل نقائك

ولا تسلم الاخلاق مقادها الا لمن صفت نفوسهم وتنقت ضمائرهم

ولا يصاحب الادب فكراً مجدباً وقريحة خامدة فكوني لنا معواناً على الدعوة بالفضيلة وبث الاخلاق وتعزيز الآداب

اوحي الينا من معاني نقائك وسنائك لنسير في ما عقدنا عليه العزم ووطدنا الهمم . انما الاعمال بالنيات

---

(١) كتبت للعدد الاول من مجلة « الزنبقة » البغدادية

الى الوردة الصغيرة

حدثيني ايتها الوردة الصغيرة
وبوحي الي بمكنونات صدرك
اراك اليوم برعماً رخصاً، وغداً تصبحين زهرة رائعة
أين أنت الآن والى أين سيكون مصيرك في الغد؟
لعلك توضعين على صدر فتاة ناعم تنافسينها في
حسنها وبهائها؟
او تكونين عقداً منظماً مع شقيقاتك الجميلات على
هامة عروس يوم زفافها
او تكونين مطروحة فوق نعش خريدة بكر،
قطفت في ربيع العمر
او تصيرين الى قصور الاغنياء ومعاهد الكبراء
او تذهبين الى اكواخ المساكين والفقراء؟

***

لكن . . . بحياتك يا عروس الحقل

كلمة واحدة اتوسل اليك ان تهمسيها في اذني

كما يهمس النسيم البليل اسرار الطبيعة في اذنيك

كل صباح

اي محل تبتغين يا اميرة الرياحين !

واي موضع تفضلين يا حبيبة الشعراء والعاشقين !

تكلمي فاني مصغ ، وافتحي فاك الجميل فان قلبي مفتوح

لقبول هذه اقوالك الحلوة . . .

* * *

خطرت نسائم الصبح ، وتمايلت اوراقك الذهبية ،

فكأن النسيم باح لي بخفاياك

واوحيت الي بنظراتك المؤثرة اسمى العواطف

وارق الشعور

فاستميحك نقلها الى لغة بني امي علهم يفهمون :

في فجر الغد ، بينما تكونين قد رفعت رأسك مع اترابك الباسمات لتبعثي الى رب العرش الاعلى بآيات الحمد والشكران

في الساعة التي تهتزين وتتمايسن جذلات وتنثرن دمعات السحر اللؤلوئية ،

وقد بعثت اليكن سلطانة الانوار بلعابها فسال رضاباً عسلياً على ثغوركن

في تلك الساعة ، التي سيفاجئك الانسان وينتزعك من صدر امك

فتبتل انامله بدموعك ، وتتعطر يمينه بشذاك الساطع

لاتودين ان يذهب بك الى ربات الخدور لتكوني على صدورهن عقداً نفيساً بين العقود الذهبية والمجوهرات الغالية

لا تهوين ان تكوني في تلك الضمة التي يجمعها الشاب المتيم ليقدمها الى حبيبته، شعار الاخلاص المتناهي فتلامسين وجناتها المتوردة، كلما ضمتك متنشقة عرفك

لا ترومين ان تكوني منثرة تحت اقدام الكبار والعظماء

ولو داستك اقدام العظمة ووطئتك ارجل المجد اذ تعلمين ان في السقوط الى الحضيض من الذل والصغار مالا تساويه عظائم الدنيا ومفاخرها

* * *

تلك اليد القاسية ستقطفك وتجني عليك غداً وطوق جيدك بشريطة الديباج

ستحملك الى نعش عروس غضة ذوت في روعة الشباب

وعلى ذلك النعش التي تجلله الطهارة وترفرف فوقه
املاك البقاء ، ستتلاقى الشبيهتان
وستغمر كما امواج من الحزن والكآبة
كما يغمر الحب قلوب الفتيان والفتيات في اجمل
مواقف الغرام
فالى الغد ايتها الوردة الصغيرة الجميلة
وسلام عليك وعلى حقلك البديع ونسيمك العليل..

فهرس

الصفحة		محل النشر	التوقيع
٣	يا اماه		
٥	بصريح القول		
٨	الحياة الجديدة	العراق الممتاز	*
١٦	يقظة الجمال	المفيد	أ. خالد
٢١	الى الطفل العظيم	العراق	*
٢٩	صليبك وصليبها	العراق	*
٢٧	الرسول العربي	العراق	
٤٧	اوراق الخريف	دار السلام	
٥٣	أول العام	العراق الممتاز	*
٦١	تذكرتي العزيزة	العراق	الشاعر المهجور

* نشرت فضلا عن التوقيع

الصفحة		محل النشر	التوقيع
٦٦	النابغة	الزنبقة	
٧٢	الحب المكتوم	المفيد	أ . خالد
٧٦	الى الريحاني	العراق	*
٨٤	ساعة الوداع	العاصمة	احمد خالد
٩١	الزنبقة	الزنبقة	
٩٤	الى الوردة الصغيرة	العراق	شاعر

مكتبة الهلال

بالفجالة بمصر — صاحبها ابراهيم زيدان

وهي اشهر مكتبة عربية تمتاز عن غيرها بما تنشره من المطبوعات النفيسة من علمية وأدبية وتاريخية ومدرسية وروائية وغيرها — وقد صدرت قائمتها الجديدة وترسل مجاناً لمن يطلبها . وتعطى اسقاطاً خصوصياً لمن يشتري منها بالجملة

المطبعة العصرية

ارقى مطبعة في القطر المصري

تطبع الاعلانات الكبيرة والصغيرة الحجم والاوراق التجارية والكتب والمجلات وكل مايلزمك باتقان متناه واسعار متهاودة وهي مستعدة لتصحيف الكتب والدفاتر والمجلات وغيرها على الطرز الحديث. المخابرة مع صاحبها الياس انطون الياس شارع العلوي رقم (٥) صندوق البريد رقم (٩٥٤) بمصر

أمين الريحاني
في العراق

تقف فيه على الحركة الفكرية في البلدان العربية ، وتدرس شخصية فيلسوف عربي حر وصاحب مذهب جديد في الادب .

يطلب من ادارة مجلة « الحرية » ومن المكاتب الشهيرة في الاقطار العربية .

DATE DUE

892.74.B98A:c.1
بطي ،رفائيل
الربيعيات
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038274